دراسة دلالية في توظيف مفردات (يولج - يكوّر - نسلخ - يقلّب) في القرآن الكريم

الدكتور هادي رزاقي هريكندهئي (الكاتب المسؤول)
أستاذ مساعد بجامعة نوشيرواني ـ قسم الإلهيات والمعارف الإسلامية بابل ـ إيران
razaghi@nit.ac.ir
فاطمة فضليان كاري
طالبة العلوم الدينية في الفصل الرابع ـ حوزة السيدة خديجة (س) بابل ـ إيران

A semantic study in the use of vocabulary (inserted - flipped - flipped) in the Holy Qur'an

Dr. Hadi Razaky Herkendhai (responsible writer)
Assistant Professor at the University of Nowsherwani , Department of Islamic Theology and Knowledge , Babylon , Iran
Fatima Fadliani Kari
Religious Sciences Student in the Fourth Semester , Hawza Khadija (S)
Babylon , Iran

الملخص:

لكل مفردة من مفردات القرآن دلالتها وتوظيفها الخاص بها لأنّها استُخدمت بعناية ودقة فائقتين. لذلك قد تكون بعض المفردات متقاربة من ناحية المعني، لكنّ استخدام واحدة منها محل الأخرى و التعبير بغير ما وضع له، ربما لا يقدر علي إيصال المعني والمقصود القرآني المراد منه. ولكي نكتشف الفروق الدلالية لهذه المفردات والتعابير يجب إمعان النظر والدقة في سياقها والنظر إلي السياق الكلامي الذي استخدمت فيه المفردة حتي يتسنّى للباحث في النص القرآني الوصول إلي الدلالة المقصودة في هذا النص. ومن هذا الإنطلاق يسعي هذا البحث النظر في الفروق الدلاية لمفردات يؤلج، ويكوّر، ونسلخ، ويقلّب التي وردت للتعبير عن تقلّب الليل والنهار و تعاقبهما. فبما أنّ هذه المفردات متقاربة من المنظور الدلالي توقع المترجم من العربية في أخطاء دلالية فتترجم وكأنّها مترادفة المعني. في حين نحن نعرف أنّ كل مفردة من المنظور الدلالي لها دلالتها الخاصة ولا توجد مفردات مترادفة المعني تماماً من منظور علم الدلالة. فانطلاقاً من هذه النظرة تسعي هذه الدراسة وبناء علي توظيف الآيات وسياقاتها والفضاءات العامّة التي وردت فيها الآيات الكشف عن مفهوم هذه المفردات و من خلال فهمها إلي ترجمة مناسبة و صحيحة لها وفي الوقت نفسه تعيين حدود كل مفردة مع المفردات الأخرى.

الكلمات المفتاحية: الدلالة، القرآن، يولج، يكوّر، نسلخ، يقلّب.

Abstract:-

Each of the Qur'anic vocabulary has its own meaning and employment because it has been used with great care and precision. Therefore, some vocabulary may be close in terms of meaning, but the use of one of them replaces the other and the expression is not what was developed for it, perhaps it is not able to convey the meaning and the intended Quranic meaning of it. In order to discover the semantic differences of these terms and expressions, it is necessary to look closely and precisely in their context and look at the verbal context in which the term was used in order for the researcher in the Quranic text to reach the intended meaning in this text. From this starting point, this research seeks to look at the indicative differences of vocabulary words that permeate, pellet, and slough off, and flip which were received to express the fluctuation and succession of day and night. As these terms are close from a semantic perspective, the translator expects from Arabic to semantic errors, and they are translated as if they are synonymous with meaning. While we know that each term from the semantic perspective has its own significance and there are no words that are completely synonymous with meaning from the perspective of semantics. From this perspective, this study seeks, and based on the employment of verses and their contexts and the general spaces in which the verses appear, reveal the concept of these vocabulary and by understanding it to an appropriate and correct translation for it and at the same time defining the boundaries of each individual with the other vocabulary.

Key words: significance, Quran, insert, flip, flip.

المقدّمة:

لقد كان نزول القرآن حدث جلل لا نظير له في تاريخ البشرية جمعاء. فقد تحدث الله سبحانه وتعالي مع الرسول ﷺ في ظروفه الإجتماعية المختلفة. وهذا الحدث العظيم خلق تراثاً زاخراً استقطب اهتمام المسليمن طيلة الأربعة عشر قرناً مضت من نزول أول آية منه، وقد سلخ الباحثون المسلمون سواد الليالي و بياض الأيام في كشف معارفه و الغور في بحره و حفظه وتجويده. ولا شك إنّ إحياء العلوم الإسلامية وعلي رأسها التفسير واستخدام العلوم الحديثة في هذا الشأن وتوظيف الآليات التحليلية في تفسير القرآن من أبرز أهداف العلماء المسلمين في العصر الراهن.

لقد جعلت ظاهرة التشابه الدلالي في بعض مفردات القرآن طائفة لا يستهان بها من مفسّري القرآن لا يميزون بين المفردات ذات الدلالة المتشابهة ولا يميزون الفروق الدقيقة بين كل مفردة من مفردات القرآن فيعتمدون معنى واحداً لترجمة المفردات المختلفة في كل سياقاتها النصية وموضعها من المفردات والآيات الأخرى. بحيث تخلق أقوالهم إنطباعاً لدي القارئ بأنّ الله جلّ وعلي يريد التكرار المقيت في المواضع المختلفة لنص هذا الكتاب السماوي و يأتي التكرار لمحض التأكيد بحيث تتوسّع هذه النظرية حتي تدّعي أنّ مجرد التشابه الصياغي للمفردتين اللتين استخدمتا في مواضع مختلفة، دليل علي إمكان توظيف إحدهما مكان الأخرى. في حين فتح علم الدلالات والألسنيات الباب واسعاً أمام الدراسات القرآنية لتقديم معان جديدة و أمكن المفسرين والباحثين في الدراسات القرآنية من تقديم دراسات جديدة في علم الدلالات وتطبيقها علي الدراسات القرآنية. ولا ننسي أنّ هذه الدراسات ليست بديعة علي ساحة التفسير و الدراسات القرآنية؛ فقد شهد تاريخ الإسلام كمّاً هائلاً من هذه الدراسات التي قام بها عظماء الأدب والتفسير مثل سيبويه النحوي والسيد الرضي في شرح الكافية؛ لكنّها تفتقر إلي منهجية واضحة وآليات تفسيرية ممنهجة (قائمي نيا، ١٣٩٦:٢٩). علم الدلالة القرآني هو عبارة عن محاولة لرسم خارطة دلالية للقرآن ترسم لنا معالم الطريق و تبلور لنا الآليات الدلالية التي يستند إليها القرآن في صياغة المفاهيم وصناعة المعني في السياقات المختلفة؛ بتعبير آخر؛ لا طريق لفهم واستيعاب دلالات القرآن و معاني المفردات من دون النظر إلي السياق والفضاءات المختلفة التي

وُظّفت فيها المفردات؛ خاصة أنّ القرآن ليس نصاً إعتباطياً رُصفت فيه المفردات بشكل عشوائي و من دون الخضوع لقاعدة ممنهجة ودقيقة، وإنّما هو عبارة عن شبكة بالغة الدقّة والبلاغة من المفردات والعبارات التي رُصفت رصفاً دقيقاً، فكل مفردة من النص القرآني لها صلة وثيقة بالمفردات الأخرى وبالسياق والفضاء النصي التي وردت فيه، لهذا كل كلمة تأخذ معناها الدلالي من سياقه النصي. فإن ألقي هذا السياق النصي أو أهمل في عملية الشرح والتفسير والدراسات الدلالية فلا يمكن الوصول إلي المعني المقصود به. خاصة إذا علمنا أنّ كل مفردة وضعت بدقّة ولها دلالتها الخاصة بها (ايزوتسو، ١٣٦١:٢٥). بهذه المقدّمة نعود إلي السؤال الذي طرحناه في هذه الدراسة. فهل مفردات يولج، ويكوّر، ونسلخ، ويقلّب التي وردت كل منها في سياقات مختلفة حول تعاقب الليل والنهار لها معنى واحداً أم أنّ كلَ مفردة لها دلالاتها الخاصة بها حسب سياقاتها المختلفة؛ فيجب النظر إلي السياق النصي الكلي للآية و مضمونها في شرح دلالة كل مفردة. وتسعي هذه الدراسة ضمن تحليل المعني اللغوي والدلالي لكل مفردة، أن تدرس الفروق الدلالية الدقيقة والسياق التي وردت فيه المفردات، وتشرح آراء المفسرين ومقارباتهم الدلالية لكل مفردة والعلاقة التي تربط بين المفهوم والسياق وتدرس العلاقة الممنهجة والمنتظمة لهذه المفردات ودلالاتها بدقة. فمن أبرز نتائج المنهج الوصفي هي بلورة العلاقة الدلالية العميقة بين المفردة وسياقها والعلاقة بما قبلها و ما بعدها من المفردات وآلية رصف الكلمات في النص القرآني و رصد أوجه الفرق بين هذه المفردات من ناحية الدلالة، بحيث يتبين أنّ كل مفردة وردت في سياقها و موضعها الخاص بها. وللوصول إلي هذه الغاية بدأنا دراستنا بتحليل آراء المفسرين حول دلالة و تفسير كلمات يولج، ويكوّر، ونسلخ، ويقلّب وبعدها قمنا بتحليل وشرح كل منها علي حدة. وتعتمد هذه الدراسة المنهجية الوثائقية/المكتبية وتسعي من خلال هذه المنهجية أن تقدّم شرحاً لمفردات يولج، ويكوّر، ونسلخ، ويقلّب عبر المراحل الثلاثة و هي الوصف، والتحليل، والتبيين.

المفاهيم

١- يعني علم الدلالات (semantics) بكشف المعني ودلالة الكلمة من خلال دراستها علمياً (صفوي، ١٣٨٧:٣١) ذلك المعني الكامن تحت طبقات النص

السميكة، فكلما كان النص معقداً كانت وظيفة علم الدلالة أكثر أدبية و أقدر ولوجاً في طبقات النص. فهي بهذه الحال تحاول نقل المزيد من المعني والدلالة بأقل عدد من المفردات وهذا ما يزيد من صعوبتها و جاذبيتها في الوقت نفسه. ومن هنا تظهر الحاجة إلي القواعد والآليات المنتظمة والقوانين المنسجمة لكشف المعني (شعيري، ١٣٨١:٣) فوظيفة علم الدلالة هو نقل المعني عبر اللغة. يقوم علم الدلالة بتقطيع أوصال النص والكلام. فبعد دراسة هذه الأجزاء المتقطعة من النص تقوم الدلالة بوصل هذه الأجزاء من أجل الوصول إلي المعني الكلّي، فكل جزء من هذه الأجزاء النصية هو بمثابة حلقة من حلقات سلسلة متشابكة. فهذه المنهجية التي تقوم علي أساس الحركة من الجزء إلي الكل تتطلّب دقة فائقة في عملية تحليل النص (المصدر نفسه:٣) فالكلام من وجهة نظر علم الدلالة عبارة عن مجموعة متماسكة الأجزاء، و وظيفة عالم الدلالة أن يقوم بدراسة هذا الإنسجام المتمثّل في النص؛ لأنّ الكلمات تشكل في ما بينها مجموعات مختلفة الأحجام و هذه المجموعات يجب أن تتلائم و تتصل ببعضها عبر طرق مختلفة لكي تشكل كلاً منسجماً متماسكاً في شبكة بالغة التعقيد تتجلّي فيها الصورة الكلامية والدلالة المقصودة (إيزوتسو، ١٣٦١، ص٥).

في الحقيقة ((علم الدلالة)) هو آلية لمعرفة المعني؛ لذلك يجب أن تكون قادرة علي السياقات والفضاءات النصية المختلفة أن تقدّم منهجية مناسبة لكشف الدلالة و معنى النص و تسعف المؤلف والقارئ في الوصول إلي المقصود (مطيع، ١٣٨٧، ٣٢).

١- يولج: ولج ولوجاً و إيلاجاً وهو كل ما دخل في الشيء ولم يكن جزء منه، فمثلاً يدخل رجلٌ في قوم وهو ليس منهم فهو والج فيهم(الطريحي؛ ١٣٧٥ش، ج٢:٣٣٥) و الوليجة تشير إلي العلاقة السرّية والتوغّل في الشيء خلافاً للنفوذ الظاهر المكشوف (مصطفوي، ١٤٣٠ه ق.ج١٣:٢١٩)

٢- يكوّر: كوّر يكوّر تكويراً. وهو لف الشيء واستدارته؛ فيقال كوّر العمامة علي رأسه و أصله تكوير العمامة. إذن القول بأنّ "اللَّه سُبْحَانَهُ و تَعَالَى كَوَّرَ اللَّيلَ على النَّهارِ" أي أدخل الواحد في الآخر (الزبيدي؛١٤١٤ هـ.ق؛ ج٧: ٤٦٣والفراهيدي؛

ج٥: ٤٠٢) فقد اشترط أئمة اللغة الإستدارة والتدوير في عمل التكوير؛ وهذا التعبير القرآني إنّ دلّ علي شيء إنّما يدلّ علي كروية الأرض. فقد أشار القرآن إلي هذا الأمر في عهد لم يعرف البشر شيئاً عن كروية الأرض والبشرية كلها كانت تؤمن بأنّ الأرض مسطحة.

٣- نسلخ: سلخ الجلد؛ أي انتزعه من الجسد؛ فقد يقال: سَلَختُه فانسَلَخَ. واستعير للتعبير عن نزع الدرع وإنتهاء الأمر و دوران القمر. فيقال سلخ الدرع وانسلخ الأمر وانسلخ القمر(الراغب الإصفهاني؛١٣٧٤هـ.ش؛ج١: ٤١٩ والقرشي؛ ١٣٧١هـ.ش؛ ج٣: ٢٨٦).

سلخ النهار من الليل هو تبديد النور منه. كما يمكن القول أنّ ذرّات الهواء مظلمة في ذاتها فينفذ نور الشمس في داخلها فيضيء تلك الذرات؛ فتتحوّل إلي موجات حرارة فتجذبها تلك الذرّات، وعند أفول الشمس و تبديد النور ينسلخ النور من ذرّات الهواء فيجنّ الظلام ويخيم علي السماء (القرشي؛ ١٣٧١، ج٣:٢٨٧). وانسلخ الليل من النهار. أي خرج منه خروجاً لا يبقي معه شيء من ضوئه (الفراهيدي١٤١٠ق، ج٤:١٩٨). إذن الأصل في المادة هو الظلمة كما أنّ الأصل والمبدأ في عالم الروح هو النور؛ وأنّ النور في عالم المادة عارض عليها وليس جزءاً منها (مصطفوي؛ ١٤٣٠هـ.ق؛ ج٥: ٢٠٨)

﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ (يس: ٣٧) وسلخ النهار من الليل يبدو سلخ الضوء أو النور من موضع الليل؛ فيمكن القول أنّ ذرّات الهواء مظلمة في ذاتها فينفذ فيها ضوء الشمس و تتحوّل بصورة متواصلة إلي موجات حرارة فتنجذب تلك الحرارة في ذرات الهواء والأرض وعند أفول الشمس وقت الغروب ينقطع الضوء فيذهب النور من تلك الذرات فيدخل كل شيء في الظلام و هو الليل. (القرشي ١٣٧١هـ.ش؛ ج٣؛ ٢٨٧)

٥- يقلّب:: قَلْبُ الشّيءِ: قلب الشيء هو عكسه رأساً علي عقب أو ظهراً لقلب. فقلب الثوب أي قلب باطنه وظهره؛ وقلب الإنسان هو إعادة الإنسان من منهجه وطريقه وفكره إلي منهج وطريق آخر. (الراغب الإصفهاني، ١٤١٢هـ.ق؛٦٨٢)

خلفية التحقيق

لم تُكتب علي حد علمنا أية دراسة أو مقالة أو كتاب مستقل في موضوع دراسة دلالية حول توظيف مفردات يولج، ويكوّر، ونسلخ، ويقلّب في القرآن الكريم؛ لكن شهدت الدراسات الحديثة كمّاً هائلاً من البحوث الدلالية بصورة كلّية وشاملة تجدر الإشارة إلي: الدلالة الجمالية في القرآن للكاتب مهدي مطيع، و الدلالة القرآنية للكاتب عليرضا قائمي نيا، ومدخل لعلم الدلالة للكاتب كوروش صفوي.

دلالية المفردات

معرفة مداليل مفردات و تعابير القرآن لها دورٌ لا يستهان به في فهم الآيات و مضامينها؛ وهذه المعرفة تندرج ضمن مجال علم الدلالة.

وينقسم حقل علم الدلالة إلي حقلين تاريخي والوصفي. ويهتم علم الدلالة التاريخي إلي التطورات التي تطرأ علي الكلمة وتغيير معناها عبر تعاقب العصور، وهذا الأمر يفتح المجال لفهم المعني والمقصود لكل مفردة في العصور المختلفة خاصة في عصر نزول القرآن. أمّا علم الدلالة الوصفي فقد يعني بدراسة بدلالة الكلمة من خلال دراسة بينتها المفهومية والمجال الذي استخدمت فيه ضمن النص (نكونام، ١٣٩٠: ١٨-١٩) لأنّ كل كلمة تأخذ معناها ضمن السياق الذي اُستخدمت فيه وضمن النص وليس خارجه. فسياق الكلام و حضور الكلمة ضمن الكلمات الأخرى هو من يعطي للكلمة معنى. وسياق الآيات من ضمن القرائن والدلالات التي يمكن أن تساعد الباحث علي معرفة المعني المراد و فهم المجال الدلالي الذي وردت فيه المفردة. ولهذا يكون السياق من أكبر القرائن الدالّة علي قصد المتكلّم والقرنية في علوم اللغة العربية هي وحدها تجيز فهم اللفظ في غير ما وضع له و إخراجه من معناه الظاهري (العلواء، ١٣٨٩: ٧٨). معظم الوحدات الدلالية تكسب المعني ضمن حضورها مع الوحدات الدلالية الأخرى؛ فلا معنى للوحده الدلالية أو اللفظة من دون السياق ولا يحدّد المعني إلّا السياق (مختار عمر، ١٩٩٣: ٨٦). ويتجلّي لنا من خلال الأبحاث السابقة حول قضية الترادف والكتب والمقالات التي وضعها علماء هذا الحقل، ومن خلال دراسة جذور المفردات والألفاظ وأصولها في معاجم اللغة وأيضاً بالإستعانة من التعاريف المختلفة التي وردتنا حول حقيقة الترادف و ماهيته، يتضح لنا أنّ الترادف ليس

كما يقال في تعريفه وهو ((وضع اللفظ للمعني)) ففي كل لغة لفظاً لمعني خاص، واللغات كلها وضعت لفظاً لكل معنى (ميرلوحي، ١٣٩٢؛ ٥٨٥). بناء علي ما قلنا و شرح ما ورد في شأن علم الدلالة في هذا المجال؛ تتضح لنا ملامح الإطار الكلي الذي يجب أن نؤطّر فيه الدراسة. ولهذا اخترنا البحث ليكون ضمن إطار آيات القرآن. ونتوقّع أن يواجه القارئ صعوبة في فهم المعني بسبب المقاربة الدلالية أو المنهج الدلالي الذي اعتمدت عليه الدراسة. ونأمل أن يتخطّى القارئ هذه الصعوبة من خلال النظرة الثاقبة وإمعان النظر في القضايا المطروحة في هذا المقال.

دلائل استخدام كلمة "يولج" في القرآن

وردت كلمة يولج وتولج وهي من وَلَجَ في القرآن ستُ مرات؛ والإيلاج بمعنى الإدخال وهي وردت في هذه الآيات في سياق التمثيل لكي تدلّ علي تعاقب الظلام والنور و دخول الواحد في الآخر (ابن عاشور، ١٤٢٠، ج٢١: ١٢٦) وقال البعض أنّ الولوج هو استعارة عن كثرة زمان النهار في الليل والليل في النهار(الطنطاوي، ١٩٩٧، ج٢:٢٧) والآيات التي وردت فيها هذه المفردة بعمني الليل والنهار هي:

١- ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٢٧/آل عمران)

٢- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٦١/حج)

٣- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٢٩/لقمان). كما تمكن الإشارة إلي سورة فاطر الآية ١٣ و سورة الحديد الآية ٦.

الف) كلمة يولج عند المفسرين

قيل في تفسير الإيلاج (ولوج الليل في النهار والنهار في الليل) إنّه حلول الواحد محل الآخر، كحلول ضوء النهار في ظلمة الليل، وكأنّ ضوء الصبح يقتحم في ظلمة الليل كاقتحام الشيء في الشيء الآخر، وإيلاج كل من الليل والنهار في الاخر حلوله محل الاخر

كورود ضوء الصباح على ظلمة الليل كشئ يلج في شئ ثم اتساعه وإشغال النهار من الفضاء ما أشغله الليل، و ورود ظلمة المساء على نور النهار كشئ يلج في شئ ثم اتساعها وشمول الليل.(الطباطبائي: ج١٤، ص: ٤٠١). وقال آخرون: ذكر الله إيلاج الليل في النهار من آيات قدرة الله، فان الله تعالى قادر على نصر المظلوم علي الظالم (إبن عجيبة، ١٤١٩ق، ج٣: ٥٤٩؛الزحيلي، ١٤٢٢، ج٢: ١٦٦٤). وقد تناول الفخر الرازي هذه الآية من جهتين. وقوله هو:

ذلكَ بأنَّ اللَّهَ يولجُ اللَّيلَ في النَّهارِ ويولجُ النَّهارَ في اللَّيلِ بمَا قَبْلَهُ؟ وَ الْجَوَابُ: مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: ذَلِكَ أَيْ ذَلِكَ النَّصْرُ بِسَبَبِ أَنَّهُ قَادِرٌ وَمِنْ آيَاتِ قُدْرَتِهِ الْبَالِغَةِ كَوْنُهُ خَالِقًا لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمُتَصَرِّفًا فِيهِمَا، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ قَادِرًا عَالِمًا بِمَا يُجْرِي فِيهِمَا، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ كَانَ قَادِرًا عَلَى النَّصْرِ مُصِيبًا فِيهِ وَثَانِيهَا: الْمُرَادُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ مَعَ ذَلِكَ النَّصْرِ يُنْعِمُ فِي الدُّنْيَا بِمَا يَفْعَلُهُ مِنْ تَعَاقُبِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَوُلُوجِ أَحَدِهِمَا فِي الْآخَرِ.(الفخر الرازي، بي تا، ج٢٣: ٢٤٥). إذن يرتكز تفسير الفخر الرازي علي قدرة الله و نعمته للخلق. و ذهب بعض المفسرين إلي مذهب آخر و قدّم تفسيراً فيزيائياً من معنى الآية. يقول محمد جواد مغنية: تسير الأفلاك بقدرة و عناية من الله تعالى و يدور بعضها حول بعض فتكون الفصول المختلفة. فيأخذ في فصل من النهار و يضيفه علي الليل حتي يطول الليل خمسة عشر ساعة ويتقلّص النهار إلي تسع ساعات. و في الفصل الآخر يقلّص من الليل ويضيفه علي النهار حتي يطول النهار خمسة عشر ساعة و يتقلّص الليل إلي تسع ساعات ويكور الليل علي النهار و يكور النهار علي الليل؛ اي يغشي الليل علي النهار و يغشي النهار علي الليل او ينقص من احدهما و يزيد علي الاخر (مغنية، ١٤٢٤، ج٢: ٣٧). وثمّة تفسيراً فيزيائياً آخر لهذه الآية وهو أنّ الآية يمكن أن تشير إلي هذا الأمر أضافة إلي أمر آخر و هو أنّ وجود الليل والنهار سببه الطبقات الجوية التي تحيط بالكرة الأرضية ولهذا لم ينزل الليل ولا النهار فجأة وإنّما تدريجياً فيظهران بشكل الفجر والفلق يعمّان السماء، ثم يأتي الشفق واحمرار السماء من قبل المشرق عند غروب الشمس ثم يجنّ الليل ويعمّ الظلام بشكل تدريجي (سيد قطب، ١٤٢٥، ج١، ٣٨٥).

إذن نستنتج من هذه الأقوال أنّ معظم التفاسير ومن دون النظر إلي المنظومة الدلالية لكل مفردة و للسياق، تشير إلي قضيتين هامّتين في تفسير هذه الآيات وهاتان القضيتان هما:

١) تشير إلي التغيير التدريجي وغير المحسوس لليل والنهار، أي تقلّص الليل والنهار طوال المواسم والفصول الأربعة.

٢) تشير إلي البزوغ والأفول التدريجي لكل من الليل والنهار.

ب) تحليل آيات يولج من وجهة نظر علم الدلالة

يتحدث القرآن في الآية الستين[1] من سورة الحج عن المعاقبة بالمثل و يقول: ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ وهي معاقبة الظالم بمثل ما ظلم. والسبب في تسمية هذا الجزاء "معاقبة" هو أنّ ظلم الظالم سبب عقوبته و السبب في عقوبته هو ظلمه، كما يحمل الشيء عن نظيره أو نقيضه بسبب الملابسة أو المناسبة. (الطبرسي، ١٤١٢، ج٣: ٥٧)ثم تقول الآية أنّ الله لعفو غفور. وقوله تعالى: ﴿لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾ ظاهر السياق - والمقام مقام الاذن في الجهاد - أن المراد بالنصر هو إظهار المظلومين على الظالمين الباغين وتأييدهم عليهم في القتال لكن يمكن أن يستظهر من مثل قوله: " ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا " أسرى: ٣٣ أن المراد بالنصر هو تشريع حكم للمظلوم يتدارك به ما وقع عليه من وصمة الظلم والبغي فإن في إذنه أن يعامل الظالم الباغي عليه بمثل ما فعل بسطا ليده على من بسط عليه اليد. (الطباطبائي، ١٣٩٠، ج١٤: ٤٠٠). ثم يقول في الآية ٦١ من هذه السورة: "ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير " إيلاج كل من الليل والنهار في الاخر حلوله محل الاخر كورود ضوء الصباح على ظلمة الليل كشئ يلج في شئ ثم اتساعه وإشغال النهار من الفضاء ما أشغله الليل، وورود ظلمة المساء على نور النهار كشئ يلج في شيء ثم اتساعها و شمول الليل. والمشار إليه بذلك - بناء على ما تقدم من معنى النصر-ظهور المظلوم بعقابه على الظالم الباغي عليه، والمعنى أن ذلك النصر بسبب أن من سنة الله أن يظهر أحد المضادين والمتزاحمين على الاخر كما يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل. (الطباطبايي، ١٣٩٠، ج١٤: ٤٠١) كما أشار أئمة اللغة في معنى الإيلاج هو النفوذ والسريان في شيء خفية (مصطفوي، ١٤٣٠، ج٣: ٢١٩). ويستشهد به البعض كشاهد لعلم الإله بالأسرار و كل ما يخفي العباد و يسرّوه؛ فيقول هؤلاء أنّ كل ما يفعله الإنسان من خير و

شرّ و بغي وإنصاف لا يخفي علي الله و ذلك أنّه سميع بصير بما يفعل العباد(الزمخشري، ١٤٠٧، ج٣:١٦٧). علي سبيل المثال يذكر الله تعالى علمه بالأمور الخفية ويشير إلي إيلاج الليل في النهار كدليل علي ذلك وهو دليل علي العلم بالأعمال الخفية. ولهذا يمكن القول أنّ قصد الآية هو الإشارة إلي النفوذ والتغلل الخفي في الأمور. بحيث نري أئمة الجور يتمادون في ظلمهم وطغيانهم ويتكابرون علي المظلوم حتي يفتح الله للمظلوم طريقاً يتغلغل من خلاله إلي الظالم فيطيح بسلطانه كما دخل موسى عليه السلام في بلاط فرعون وتوغل في سلطانه فأطاح به بأمر من ربّه.

أما حول كلمة يولج التي وردت في سورة لقمان في الآية العاشرة[٢] فقد تشير هذه الكلمة إلي خلق السماوات بغير عمد وخلق الجبال وغير ذلك من الآيات؛ وفي الآية الحادية عشرة[٣] يؤاخذ الكفار ويقول: هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَا ذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ. و في الآية ١٣ حتي الآية ١٩ يذكر نصائح لقمان لإبنه ثم يبدأ في الآية ٢٠ بحروف آلم لكي يشير إلي قدرة الله في إعطاء نعماته إلي العباد وما وهب لهم من خير؛ أي بعد أنّ ذكر في الآية ١١ خلق الله يفصل بين هذه الآية بذكر نصائح لقمان لأبنه في سبيل هدايته إلي الصراط المستقيم ثم يعود إلي ذكر نعمات الله لعباده حتي يأتي في الآية ٢٩ علي ذكر إيلاج الليل في النهار كدليل علي قدرة الله تعالى و تدبيره. إذن عمل الإيلاج في هذا السياق يشير إلي قدرة الله و نعمته للعباد و هذا السياق يتلائم مع الآيات الأخرى و الحديث عن خلق الله وأنّ وكل ما يعبد من دون الله لا يقدر علي شيء.

وفي ما يتعلّق بعبارة يولج التي وردت في الآية ١٣ من سورة فاطر نقول أنّ هذه الآية تذكر العباد بقدرة الله؛ ثم في الآية [٤]١٠ من السورة نفسها يقول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾. فالعزّة بمعناها الأول تعني القهر والغلبة و لا العكس. فقد تقول هذه الآية إنّ العزّة خاصّة بالله عزّ وجلّ؛ لأنّ الخلق كله فقير إلي الخالق فهو من دونه ذليل و لا يقدر علي شيء ولا يملك شيئاً، ثم إن العزة بمعنى كون الشئ قاهرا غير مقهور أو غالبا غير مغلوب تختص بحقيقة معناها بالله عز وجل إذ غيره تعالى فقير في ذاته ذليل في نفسه لا يملك لنفسه شيئا إلا أن يرحمه الله ويؤتيه شيئا من العزة كما فعل ذلك بالمؤمنين به قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون/٨) (الطباطبائي، ١٣٩٠، ج١٧: ٢٢). وبعدها يذكر آية

من آيات قدرته وهي الإيلاج فربما يمكن أن نشير من خلال هذه الآية إلي سمة الإيلاج وهي الدوام وصفة العزّة الإلهية والأوجه الأخرى من الصفات المشتركة لهاتين المقولتين (العزّة الإلهية وإيلاج الليل في النهار والنهار في الليل). علي سبيل المثال الصفة الخاصّة لهاتين المقولتين (الزمخشري، ١٤٠٧، ج٣: ٦٠٢) اللتين يندرجان ضمن السنن الإلهية قد ذُكرت في الحديث القدسي الذي خاطب به الله عزّ وجلّ نبيه داوود عليه السلام فقال: ((يا داوود! إنّي وضعت... العزّة في طاعتي و هم يطلبونه في خدمة السلطان فلا يجدونه؛ (المجلسي، بي تا، ج ٧٨، ٤٥٣). ويقول الإمام علي عليه السلام: ((من يطلب العزّ بغير حقّ يذلّ))(الكليني، بي تا، ج ٨ :٢٧). فكما أنّ إخفاء الليل في النهار والنهار في الليل بيد الله تعالى كذلك عزّة الإنسان ورفعته بيد الله فهو يعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء.

والآية السادسة من سورة الحديد فقد عبّرت عن الليل والنهار بالإيلاج واستخدمت كلمة يولج في وصفهما وهي آية تصف قدرة الله المتعال. وسبق أن شرحنا كلمة يولج علي أساس رأي اللغويين في بحثنا عن علم الدلالة و قلنا هي النفوذ والتوغل الخفي في الشيء، وقد استخدمت في هذا السياق لأنّها تتلائم معه فعندما قال الله في الآية بأنّه عليم بذات الصدور وهي الأفكار الخفية في صدر الإنسان، استخدم كلمة يولج للتعبير عن علمه بها ولم يقل يكوّر، أو نسلخ، أو يقلب. لأنها كلمة ذات صلة وثيقة بالسياق والآية من ناحية علم الدلالة. إذن لو قمنا بدراسة شاملة لكل الآيات سوف نتوصّل إلي أنّ جميع الآيات التي أتي ذكرها في هذه الدراسة لها علاقة وثيقة بفضاء وسياق الآيات الأخرى، بحيث نري أنّ الكلمة والمضمون المحوريين في كلّ آية يتلائمان تماماً مع الكلمة المراد مناقشتها في البحث وهي "يولج" وشهدنا أنّ أنسب كلمة للتعبير عن رسالة الآية هي هذه الكلمة؛ فهي التي تستوعب أداء مدلولها بقوّة بحيث لو استخدم القرآن غيرها لما أوصل المعني[٥]. إذن الكلمة التي وردت في الآية ٦١ من سورة الحج والتي تشير إلي النصرة الإلهية غير المحسوسة و المغفرة الربانية التي تمحو ذنوب الإنسان، أو ذكر صفة السميع البصير في آخر الآية، كلها تشير إلي أنّ الله لا يخفي عليه كل ما يعمل الإنسان من خير و شرّ و بغي وإنصاف. كما أنّ الآية ٢٩ والآية ٦ من سورة الحديد تتحدث عن القدرة الإلهية و قدرته علي أمور لا يقدر عليها الإنسان، كل هذه الصفات متلائمة مع سياق المعني و تأتي في موضعها الخاص بها.

٣- كلمة يكوّر في القرآن الكريم

الف: كلمة يكوّر[٦] عند المفسرين

تقول معاجم اللغة وكتب التفاسير عن معنى كلمة "يكوّر" أنّها من مادّة تكوير بمعنى اللّف، ويضرب أئمة اللغة لفّ العمامة علي الرأس مثالاً لعمل التكوير وذلك لتقريب المعني إلي الذهن. فإذا كان شخص واقفاً خارج الكرة الأرضية و ينظر إلي حركتها و دورانها حول نفسها و يشاهد تتابع الليل والنهار، سوف يري وكأنّ شريطاً أبيض يلتف علي الأرض من جانب و من جانب آخر

يزيحه شريط أسود ليحلّ محلّه وهذان الشريطان هما الليل والنهار، فضوء النهار يزيح ظلام الليل وظلام الليل يزيح ضوء النهار وهذه الحالة مستمرة ما دامت الأرض تدور. وهناك مسألة دقيقة ينبه إليها ذوو اللّب وهي تتمثل في التعبير القرآني وإشارته علي كروية الأرض وأنّها متحرّكة وتدور حول نفسها. لكن الكثير من المفسرين لم ينتبهوا لهذه الأمور الدقيقة في القرآن ولهذا ذهبوا في تفسير هذه الآية مذاهب شتي لا تتلائم مع مفهوم "التكوير" ولا تنقل المعني كما ينبغي(سيد قطب، ١٤٢٥ق ج ٢٣: ١٢٢، ميداني، ١٣٦١، ج١٢: ١٥٩، الآلوسي، ١٤١٥، ج١٢: ٢٢٩). وتقول تفاسير أخرى أنّ هذا الدوران يجعل شريط الليل الأسود و شريط النهار الأبيض في حالة التفاف دائمة حول الأرض وكأنّ الأرض تتكوّر بهما بدورانها(مكارم، ١٤٢١، ج١٥: ١٩، الخطيب، ١٤٢٤، ج١٢: ١١١٨)و علي أية حال هناك الكثير من التعابير القرآنية الحكيمة حول نظام النور والظلام و ظهور الليل والنهار، وكل منها ينظر إلي هذه الظاهرة من خلال زاوية خاصة. منها قوله: ﴿يولِجُ اللَّيلَ فِي النَّهارِ وَيولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيلِ﴾:"(فاطر/ ١٣).يقول بعض المفسرين في تفسير كلمة يكوّر أنّها وردت بمعنى يغشي و يولج. فقد يخشي الليل النهار ويغشي النهار الليل. فقد خلقهما الله متتابعين وكل منهما يطلب الآخر(ابن كثير، ١٤١٩، ج٧: ٧٦). و يذكرون آيتين كدليل علي قولهم والآيتان هما: ﴿يغْشِي اللَّيلَ النَّهارَ، يطْلُبُهُ حَثِيثاً﴾ (الأعراف ٧/ ٥٤)و قوله سبحانه: يولِجُ اللَّيلَ فِي النَّهارِ وَ يولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيلِ (الحديد ٥٧/ ٦) (الزحيلي، ١٤١١، ج٢٣: ٢٤٩).

ب) تحليل كلمة "يكوّر" من المنظور الدلالي

إنّ ذكر كلمة "يكوّر" و جريان الشمس والقمر في مسيرهما في هذه الآية يوحي لنا بنتيجتين: الأولي دوران الكائنات حول نفسها وأنّ كل كائن يدور حول نفسه في حركة مستمرة و هذه الحركة تسبب الليل والنهار واليوم والشهر والسنة، والنتيجة الثانية هي خلقة الكائنات خلقة معقدة و متصلة ببعضها، فتشبيهها بالعمامة توحي بالنتيجتين معاً، لأنّ العمامة مدوّرة ومعقدة وملتفة علي بعضها. إذن نستنتج من هذين الأمرين اللذين يشكلان مقدمة للولوج في البحث نتيجة واحدة وهي أنّ العالم علي الرغم من كثرته وتنوّعه في الظاهر مرتبطاً ببعضه إرتباطاً وثيقاً ويشكل وحدة متكاملة وهذه الصلة هي التي تتحكم بالكون، ومن نافل القول أنّ أحد البراهين الإنّية لإثبات التوحيد هو وحدة الكائنات و وحدة نظام العالم و هذه الوحدة المتماسكة تدلّنا علي وحدة إله العالم؛ فقد اتفق عقلاء العالم أجمعين أنّ وحدة الخلق دليل علي وحدة الخالق. و من خلال إثبات وحدة العالم و وحدة الكون كلّه يثبت لنا وحدة إله العالم و منها يثبت لنا ثبوتاً يقينياً لا لبس فيه أنّ هذا الإله الواحد لم يلد ولم يولد و ليس له أبناء أو بنات فهو منزّه من كل هذه الصفات. لأنّ الوحدة والتوحيد خاصة به و من ذات الإلهية ولهذا تنزّه الرب من كل هذه الصفات فهو لم يلد ولم يولد و ليس بنات أو بنون لأنّ الإنجاب يتنافي مع الذات الوحدانية التوحيدية (أمين، بي تا، ج١١: ١٨٠). وقد توصلنا هذه النتائج إلي أنّ هذا التعبير الدلالي الذي قدّمه المفسّر واعتمد علي سياق الآيات حول عدم إتخاذ الإله صاحبة ولا ولداً هو تعبير صائب تماماً و هذه النتائج لا يمكن الوصول إليها إلّا من خلال كلمة يكوّر التي ذكرها القرآن في موضعها المناسب. والدليل الآخر الذي يثبت صحة استخدام هذه العبارة في موضعها المناسب لها هو ذكر صفتين من صفات الذات الإلهية: الأولي "العزيز" والثانية "الغفّار". ومعني هذا أنّ الله عزيز وله العزّة فلا يفلت مذنب من عقابه و من جانب آخر غفار يغفر الذنوب كلها؛ ولهذا يأمل المذنبون في رحمته وعفرانه. فأصل كلمة "الغفار" التي وردت بصيغة المبالغة؛ من الغفران والغفران في الأصل هو تغطية الشيء، فالمقصود في هذا المضمار هو أنّ الله غفّار يغفر الذنوب؛ فإذا نظرنا إلي هذا المضمون من الناحية الدلالية ونظرنا إلي السياق وظاهر الكلام (للمزيد: قائمي نيا، ١٣٩٦: ١٤٨) في هذه الآية سوف نعرف أنّ تعبير "يكوّر" هو أنجع وأنسب تعبير لإيصال المعني؛ وذلك لأنّ عمل التكوير هو تكويم الشيء بعضه فوق بعض و لفّه بعضه علي بعض بحيث جزء منه يغطي الجزء الآخر، وهذا يتلائم

مع عمل الغفران و تغطية الذنوب وسترها فهي أيضاً أنسب صفة لهذا السياق من حيث تناسب المعني والمضمون.

كلمة نسلخ في القرآن الكريم

الف) كلمة نسلخ[٧] عند المفسرين

لقد وردت كلمة نسلخ مرّة واحدة في القرآن الكريم و تناولتها كتب التفاسير بالشرح والتفسير. نشير إلي بعض منها حسب مقتضي الحال. يقول الزمخشري في تفسير هذه الكلمة: نسلخ من مادة سلخ (علي وزن بلخ) و هو مستعار من كشط الجلد من مثل الشاة يقال سلخت الإهاب من الشاة. إستعير منه لكشف الضوء من مكان الليل وإزالته منه حيث شبّه كشف الضوء وإزالته من مكان الليل بكشط الجلد من الشاة والجامع ما يعقل من ترتب أحدهما علي الآخر. وهذا تعبير جميل فشبّه ضوء النهار بلباس أبيض يلبسه الليل. فتسلخ الشمس هذا اللباس. فالنظر في هذا التعبير تشير إلي أنّ طبيعة الأرض هي الظلمة والضوء والنور عارضة عليه تأخذه الأرض من مصدر خارجها، مثل اللباس العارض علي الإنسان، فإذا سلخه الإنسان اتضحت طبيعته. فهذا السلخ استعير به لإزالة الضوء من الليل (الزمخشري، ١٤٠٧، ج٤، ١٦). ويقول تفسير مجمع البيان أنّ السلخ هو الكشط. يقول الله في كتابه الكريم: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ (يس/٣٧) (الطبرسي، ج٢٠ ص٤٠٣) أما العلامة الطباطبائي فقد يقول حول هذه الآية: ويؤيد ذلك أنه تعالى عبر في مواضع من كلامه عن ورود كل من الليل والنهار عقيب الاخر بإيلاجه فيه فقال في مواضع من كلامه: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ "الحج٦١": فإذا كان ورود النهار بعد الليل إيلاجا للنهار في الليل اعتبارا كان مفاجأة الليل بعد النهار إخراجا للنهار من الليل اعتبارا.

كأن الليل أطبق عليهم وأحاطت بهم ظلمته ثم ولج فيه النهار فوسعهم نوره وضياؤه ثم خرج منه ففاجأهم الليل ثانيا بانطباق الظلام وإحاطته بما أضاءه النهار ففي الكلام نوع من الاستعارة بالكناية.(الطباطبائي، ١٣٩٠، ج١٧: ٨٩) والبعض اقتدي بقتادة و أوردها بعمني الإيلاج و ذكروا قوله: ﴿يولِجُ اللَّيلَ فِي النَّهارِ، وَيولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيل﴾ كدليل علي قولهم(إبن أبي حاتم، ١٤١٩، ج١٠: ٣١٩٤) و ذهبت طائفة أخرى من المفسرين إلي أنّ هذه الآية تدلّ على

القدرة الإلهية و قالوا أنّ "نسلخ" بمعنى يولج و هو دخول الليل في النهار والنهار في الليل (الطبراني، ٢٠٠٨م، ج٥: ٢٨١).

ب) تحليل كلمة "نسلخ" من المنظور الدلالي

تتحدث أولي آيات سورة يس حول الأمم السالفة ومصير كل من تلك الأمم. و بعدها تتحدث الآيات عن قصص بعض الأنبياء الذين نهوا الشوب والأمم من عبادة الأوثان والشرك. وقد ذكر القرآن الكريم تلك الأمم بـ "أصحاب القرية" الذين عصوا أنبيائهم و كذّبوا رسلهم فحل بهم العذاب الأليم، والسبب ذكر هذه القصة هو تحذير مشركي مكة و أن يسلّي الله الرسول الأكرم والمؤمنين القلائل بهذه الآيات ويبشرهم بحسن العاقبة تخفيزاً لهم، إلي أنّ يأتي بالبراهين والدلائل من الآية ٣٢ و ما بعدها لعل القوم يؤمنون بربهم. فبالنظر إلي سياق الآيات والفضاء الذي مهّدت له أولي آيات هذه السورة، نتوصّل إلي أنّ كلمة نسلخ في هذا السياق تتلائم تماماً مع الفضاء العام للسورة و رسالتها. هذا التعبير الدلالي بناء علي الفضاء العام للآيات هو عبارة عن تحذير المشركين من مفاجئة العذاب وحلوله بهم وهم في غفلة من أمرهم، وهو ما نشاهده في الآية ٢٩[٨] من هذه السورة و أخذ الكفار والمشركين بالصيحة في قوله وأخذتهم الصيحة.... و في الآيتان التاليتان يشير إلي دليل إيمانهم وهدايتهم، كل هذا تمهيد لسياق البحث وإيصال الرسالة. فيبدأ القرآن استدلاله في الآية ٣٣ حينما يتحدث عن إحياء الأرض و إخراج الحب منها و يقول: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ..﴾ ثم في الآية ٣٧ يذكر بانسلاخ النهار ويقول: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ...﴾. وإذا نظرنا إلي سياق الآيات بدقّة سنري أنّها كيف اختارت المفردات ذات الوقع الشديد لوصف العذاب، فبما أنّها تتحدث عن العذاب والعقوبة التي سوف تحلّ بالكافرين اعتمدت كلمة نسلخ لما لها من وقع و معنى شديدين علي الآذان. وفي الآية ٤٦ يصف الله تعالى هذه الأمور بأنّها آيات الله التي يجحد بها الكافرين ولا يتعظون منها؛ وقوله هو: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

كلمة يقلّب في القرآن الكريم

الف) كلمة يقلّب[٩] عند المفسرين

يقول الله سبحانه وتعالى في الآية ٤٤ من سورة النور: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ....﴾. تقول معظم التفاسير أنّ يقلّب ذُكرت في القرآن بمعنى القلب والتحوّل. لكن ثمّة تفاسير متعددة حول نوعية التحوّل وأسبابه وحيثياته. وقد نشير في هذا المضمار إلي بعض هذه التفاسير حسب ما يقتضيه الحال.

يرى البعض أنّ يقلّب بمعنى تقصير شيء و تطويل آخر بصورة تدريجية و هي الحالة التي نشهدها في تقلّب الفصول والمواسم (الآلوسي، ١٤١٥، ج٩، ص: ٣٨٤). ويقول آخرون أنّ التقلّب يعني اختلاف الليل والنهار وإيلاج الليل في النهار والنهار في الليل، فكل واحد يأتي ليمحو الآخر(الطبري، ١٤١٢، ج١٨، ١١٩.) وذهب بعض من أئمة اللغة بأنّ التقلّب هو تقلبات الطبيعة واختلافها كتغييرات البرد والحر والأحداث الأخرى التي تحدث في الليل والنهار(شبّر، ١٤٠٧، ج٤: ٣٢٦). لكن طائفة كبيرة من المفسرين بعد ذكر هذه الآراء والتفاسير يؤكدون علي أنّ هذه التفاسير لا تتنافي مع بعضها وليس فيها أي تباين، فكلّها يمكن أن تجتمع في معنى التقلّب (لأنّ معنى التغيير معنى محوري في تعريفها) (الفخر الرازي، ١٤٢٠ ج٢٤: ٤٠٦ / القمي، ١٣٦٨، ج٩: ٣٢٨ / فيض الكاشاني، ، ج٣: ٤٤١).

ب) دراسة كلمة تقلّب من الناحية الدلالية

بناء علي ما ورد في هذه الدراسة يتضح لنا أنّ طائفة كبيرة من المفسرين قالوا أنّ معنى يقلّب هو التغيير والتحوّل؛ وقد ذكروا لهذا التغيير عدّة معان. لكن بما أنّ كل آية من آيات القرآن لها معنى و رسالة خاصة، و وردت جميع كلمات القرآن بدقة متناهية وكل كلمة جائت في موضعها المناسب في النص والسياق، فلم تستثن هذه الكلمة من هذه القاعدة العامّة. والجدير بالذكر أنّ المقاربة الدلالية والنظر إلي السياق الآيات في ما يتعلّق بلفظ يقلّب، نتوصّل إلي أنّ النص القرآني مهّد الأرضية لكي يتحدّث في الآية ٣٧ من هذه السورة عن خصائص رجال نذروا أنفسهم وأهليهم لله تعالى ولا تليهم تجاره ولا بيع عن ذكر الله. وقوله تعالى هو: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ..﴾ وبعدها تتحدّث الآيات عن الظلال والكفر والجهل و عن الكافرين الذين ختم الله علي قلوبهم فهم لا يهتدون. ويصف أعمالهم بأنّها كسراب بقيعة يحسبها الظمأن ماء،

فكل هذه الصور والتمثيلات الحسية الرائعة تمهّد لرسم الصورة النفسيه والقلبية لكي يصف الليل و النهار في الآية ٤٤ ويقول: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ..﴾.

ومن هنا تتجلّى لنا أسباب ورود كلمة "يقلّب" بدل الكلمات الأخرى. لأنّ العليم الحكيم شاء أن يختار بحكمته أنسب الكلمات وأكثرها تلائماً مع سياق الآيات وهي بالتأكيد كلمة "يقلّب" التي تتلائم تماماً مع سياق الآيات والصور الحسية التي رسمها الله تعالى من خلال هذا التشبيه. لذلك نري أنّ هذه الكلمة هي أوفي بالغرض وأكثر استيعاباً لأداء مدلولها؛ لذلك لم يذكر أي من الكلمات المترادفة لها التي قمنا بشرحها في هذا المقال. وقيل في معاجم اللغة أنّ قلب الشيء تصريفه وصرفه عن وجه إلى وجه كقلب الثوب وقلب الانسان أي صرفه عن طريقته. وأكثر ما يقال عن التغيرات القلب وتحولاته من حال إلي حال(الراغب الإصفهاني، ١٤١٢هـ.ق؛ ٦٨٢).

حصاد البحث

لقد تناولنا في هذه المقالة بعض المفردات المعقدة في القرآن الكريم و توصّلنا إلي أنّ الطريق الوحيد للفهم الصحيح والصائب لدلالات القرآن خاصة في النصوص الدينية كالقرآن هو فهمها ضمن السياق والفضاء التي وردت فيه؛ منها فهم السياق التي وردت فيه كلمات يولج، ويكوّر، ونسلخ، ويقلّب في مواضع مختلفة من القرآن لتدلّ علي تتابع الليل والنهار؛ وحملها معظم المفسرين علي معنى واحد ولم ينتبهوا إلي الفروق اللغوية التي تحملها هذه الكلمات. في حين شهدنا أنّ كل من هذه المفردات وردت بالنظر إلي السياق والفضاء العام للآيات ولكل منها دلالتها الخاصة التي تميزها عن غيرها. إذن من أهم النتائج الدلالية التي وصلت إليها هذه الدراسة، هي فهم العلاقة الوثيقة التي ترتبط بين تلك المفردات وبين السياق التي وردت فيه و علاقتها بما قبلها و بعدها من الآيات التي تخلق فضاء عاماً يوحي بدلالة خاصة يجب النظر للمفردات من خلالها. فقد استخدم القرآن للتعبير عن تعاقب الليل والنهار أربعة مفردات ذات دلالة بالغة الدقة وهذه الكلمات هي يولج، ويكوّر، ونسلخ، ويقلّب. ولكن معظم المفسرين ذهبوا في تفسيرها مذهباً واحداً فحملوها كلها علي معنى واحد. فبالنظر إلي أنب القرآن رمزي البنية ويتمتع نصه بطبقات دلالية مختلفة ومتنوعّة تشكلها الألفاظ المختلفة كلها تأتي حسب السياق ولذلك لها دلالاتها

المختلفة. والكلمات المتشابهة في الظاهر قد تختلف دلالتها بحسب السياق، فما بالك إذا كان ظاهرها مختلفاً. إذن بناء علي ما سلف من القول يمكن أن نخرج بنتائج هامّة نذكرها في ما يلي:

١- إذا قمنا بدراسة جميع الآيات التي وردت فيها كلمة يولج نكشف أنّ جميع المواضع التي وردت فيها هذه المفردة لها علاقة وثيقة بالسياق الذي وردت فيه والفضاء العام الذي خلقته الآيات السابقة واللاحقة؛ ولهذا نجد علاقة وطيدة بالمفهوم والدلالة المحورية التي تتمثل في هذه المفردة.

٢- وردت كلٌ من مفردات "يولج، ونسلخ، ويكوّر، ويقلب" في سياقها ودلالتها الخاصة ولا يمكن أن تحلّ واحدة منها محلّ الأخرى بزعم أنّ هذه المفردات مترادفة ولها دلالة واحدة؛ مثل ما فعل معظم المفسرين في تفاسيرهم ولم ينتبهوا للفروق اللغوية.

في نهاية البحث لا يسعني إلّا أن أشكر جامعة نوشيرواني لما قدّمته من دعم كريم في تقييم هذا البحث و منحه درجة BNUT/٣٧٠٣٩٥/٩٧. ولهم جزيل الشكر.

هوامش البحث

(١) - ﴿ذَالِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾(٦٠)

(٢)- ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾.

(٢)- ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

(٤) - ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾..

(٥) - يجب فهم المضمون والمعني من خلال السياق وضمن منظومة فكرية متكاملة وليس بصورة منفصلة، فلم نتاقش المفاهيم بصورة منفردة متجزّئة وإنّما ضمن منظومة من المفاهيم، ولهذا لابد من النظر إلي المنظومة القيمية والثقافية والفكرية التي ولدت فيها تلك المفاهيم والمعان.

(٦)- ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ (٥)

(٧) - ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ (يس/٣٧).

(٨) - ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِدُونَ﴾ (٢٩)

(٩) - ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتدىء به القرآن الكريم

١- إبن إبي حاتم، عبدالرحمن بن محمد، ١٤١٩ه.ق، تفسير القرآن العظيم (إبن أبي حاتم)، الرياض، مكتبة نزار مصطفى الباز الطبعة الثالثة

٢- بن‌عاشور، محمدطاهر، ١٤٢٠ه.ق، تفسير التحرير و التنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، الطبعة الأولي

٣- إبن‌عجيبة، احمد، ١٤١٩ه.ق، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، حسن عباس زكي، قاهره، الطبعة الأولي

٤- ابن‌كثير، اسماعيل بن عمر، ١٤١٩ه.ق، تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولي

٥- ايزوتسو، تو شي هيكو، ١٣٦١ش، الله والإنسان في القرآن، مترجم احمد آرام، طهران.

٦- الآلوسي، محمود بن عبدالله، ١٤١٥ه.ق، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولي

٧- امين، نصرت‌بي‌گم، ١٣٩٦ش، تفسير مخزن العرفان در علوم قرآن، طهران، منشورات فراموشي

٨- خطيب، عبدالكريم، ١٤٢٤ ه.ق، التفسير القرآني للقرآن، بيروت، دار الفكر العربي، الطبعة الأولي

٩- الراغب الإصفهاني، حسين بن محمد. بي تا، مفردات ألفاظ القرآن، بيروت، دارالقلم

١٠- الزبيدي، محمدمرتضي، ١٤١٤ق، تاج العروس من جواهرالقاموس، بيروت، المكتبة الحياة

١١- الزحيلي، وهبة، ١٤١١ ه.ق، التفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج، دمشق، دار الفكر، الطبعة الثانية

١٢- الزمخشري، محمود بن عمر، ١٤٠٧ ه.ق، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، بيروت، دار الكتاب؛ الطبعة الثالثة

١٣- شبر، عبدالله، ١٤٠٧ ه.ق، الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين، كويت، شركة مكتبة الالفين، الطبعة الأولي

١٤- شعيري، حميد رضا، ١٣٨١ش، مباني زبان شناسي نوين، طهران، منشورات سمت

١٥- صفوي، كوروش، ١٣٨٧ش، درآمدي بر معناشناسي، ج ٣، تهران، انتشارات سوره مهر

١٦- الطباطبائي، محمدحسين، ١٣٩٠ه.ق، الميزان في تفسير القرآن، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الثانية

١٧- الطبراني، سليمان بن احمد، ٢٠٠٨ م، التفسير الكبير: تفسير القرآن العظيم (الطبرانى)، اردن، دار الكتاب الثقافي؛ الطبعة الأولي

١٨- الطبرسي، فضل بن حسن، ١٤١٢ق، مجمع البيان في تفسير القرآن، طهران، طبعة فرهاني.

١٩- الطبري، محمد بن جرير، ١٤١٢ ه.ق، جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الطبرى) بيروت، دار المعرفة

٢٠- الطريحي، فخر الدين بن محمد، ١٣٧٥ش، مجمع البحرين، تهران، منشورات مرتضوي

٢١- الطنطاوي، محمد سيد، ١٩٩٧م، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، قاهره، منشورات النهضة، الطبعة الأولي

٢٢- العلوا، سلوامحمد، ١٣٨٩ش، بررسي وجوه و نظاير در قرآن كريم، ترجمه دكتر سيد حسين سيدي، آستان قدس رضوي، الطبعة الثانية

٢٣- الفخر الرازي، محمد بن عمر، ١٤٢٠ ه.ق، التفسير الكبير، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة

٢٤- الفراهيدي، خليل بن احمد، ١٤١٠ق، كتاب العين، قم، منشورات هجرت

٢٥- فيض الكاشاني، محمد بن شاه مرتضى، ١٤١٥ ه.ق، تفسير الصافي، تهران، مكتبة الصدر، الطبعة الثانية

٢٦- قائمي نيا، عليرضا، ١٣٩٦ش، معنا شناختي قرآن، تهران، پژوهشگاه فرهنگ و انديشه اسلامي، الطبعة الثالثة

٢٧- القرشي، سيد علي اكبر، ١٣٧٧ش، تفسير أحسن الحديث، طهران، منشورات بنياد بعث

٢٨- القرطبي، محمدبن احمد، ١٣٦٤ ش، الجامع لأحكام القرآن، طهران: منشورات ناصر خسرو

٢٩- قطب، سيد، ١٤٢٥ق، في ضلال القرآن، بيروت، انتشارات دارالشروق

٣٠- القمي مشهدى، محمد بن محمدرضا، ١٣٦٨ش، تفسير كنز الدقائق و بحر الغرائب، طهران، وزارة الثقافة الإسلامية، الطبعة الأولي

٣١- الكليني، محمّد بن يعقوب، ١٣٨٨ق، الكافي، تصحيح علي اكبر غفارة، طهران، دار الكتب الاسلاميه

٣٢- المجلسي، محمّد باقر، ١٩٨٣م، بحار الأنوار، بيروت، مؤسّسه الوفاء، الطبعة الثانية

٣٣- مختار عمر، احمد، ١٩٩٣ ق، علم الدلاله، القاهرة، انتشارات عالم الكتب، الطبعة الرابعة

٣٤- المصطفوي، حسن، ١٤٣٠ق، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، بيروت، دار الكتب العلمية،

٣٥- مطيع، مهدي، ١٣٨٧ش، معناشناسي زيبايي در قرآن كريم، پايان نامه دكترا، دانشكده الهيات دانشگاه امام صادق عليه السلام.

٣٦- مغنية، محمدجواد، ١٤٢٤ق، الكاشف، طهران، منشورات دار الكتب الإسلامي

٣٧- مكارم الشيرازي، ناصر، ١٤٢١ق، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، قم، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، الطبعة الأولي

٣٨- الميداني، عبدالرحمن حسن حبنكة، ١٣٦١ش، معارج التفكر و دقائق التدبر، دمشق منشورات دار القلم

٣٩- مير لوحي، سيد علي، ١٣٩٢ش، ترادف در قرآن، تهران، پژوهشگاه علوم و فرهنگ اسلامي

٤٠- نكونام، جعفر، ١٣٩٠ش، درآمدي بر معناشناسي قرآن، قم، منشورات كلية اصول الدين